اعتماد المخرجين فى الثقافة الجماهيرية

- بعيدا عن تلك الاراء التى أتصور أنها قاسية للغاية علمت أنك شاركت فى لجان لاعتماد بعض المخرجين فى الثقافة الجماهيرية.. فمن هم ؟؟

يبدو انه كان هناك بعض الأشخاص يساومون المخرجين الشباب على حق اعتمادهم ضمن جداول الإخراج عندنا .

- وما هو موضوع المساومة ؟

أحياناً مايكون الولاء أو الانتماء إلى شلة أو مجموعة لديها وهم المزاعم الأيديولوجية أو النضال ! وأحيانا يكون هناك بعض المنافع الصغيرة والرخيصة منها وبعض الهدايا مثل الأرز والسمن والسمك وحرير أخميم والملوحة، أو عزومات فى أكل أو شرب أو (قعدات بها نساء) أو شى من النقود أو المزاج، فمناخ الرشوة أو الفساد يسمح بكل شئ. لذلك زجت الإدارة العليا بى فى عضوية اللجان خاصة بعد وصول شكاوى من مخرج بأحد المواقع بالأقاليم أو أكثر ..

- هل لديك أمثلة محددة ؟

وصلت شكاوى من مخرج فى قرية شكشوك بالفيوم وهى قرية صيادين على بحيرة قارون بأن لجنة ذهبت وشاهدت عرضه المسرحى ولم تعتمده مخرجاً، فأمر المدير العام الراحل فؤاد عرفة أن اذهب إلى هناك لمشاهدة ثانية كى أكتب تقرير صلاحية، وهناك وجدت العرض مطابقاً للأقوال الرائجة حينذاك والتى كانت تتردد فى ندواتنا عن هُوية مسرحنا وطبيعته وشكله ومضمونه وأن يكون بيئياً وجماهيرياً ويتبنى قضايا الناس ... الخ. فوجدت بالمخرج يقدم عرضه فوق كومة مرتفعة مدكوكة من التراب، يقوم بأدائه بعض أبناء المنطقة من فلاحين وصيادين – وفقا لميزانسين – فى وسطهم ممثلة ذات صوت قوى وجميل ومعبّر، تتخلله نبرة حماس وتمرّد، فبهرنى الصوت كما بهرنى الملمس الخشن والجماعى لأعضاء الفريق، وراعنى أن يعمل هؤلاء فى الخلاء والبرد ورطوبة البحيرة والتربة دون دار عرض أو أدوات مسرحية، فكتبت تقريراً مزكيا اعتماده مخرجاً ومؤلفاً لأن المسرحية كانت من تأليفه وإخراجه، ولكن للأسف اكتشفت إدارة المسرح حينذاك أن الفرقة لم تعرض سوى هذه الليلة التى شاهدتها وليلة أخرى قبل ذلك فقط فلم يعتمد على أساسها، بعد أن عادت الممثلة المغنية إلى القاهرة وكانت هى نفسها زوجة المخرج حينذاك، بينما كنت أظن أنها من بنات شكشكوك. وللعلم فإن حكاية عرض (الليلة الواحدة) أو عرض (اللجنة التى سوف تعتمد النص والمخرج والميزانية) مازالت هذه الخدعة سارية حتى اليوم.

- ومن هم المخرجون الآخرون الذين شاركت فى اعتمادهم بالثقافة الجماهيرية؟

عديدون، أحدهم هو المخرج السكندرى (عادل شاهين) وكان يعانى حينها من استدعاءات أمنية له ولزوجته فى سبيل الاتفاق معهما للتعاون مع هذه الأجهزة، والعجيب أنه فى نفس الوقت حين ذهبت لجنة إلى قصر ثقافة الحرية بالإسكندرية، لتقرير اعتماده مخرجاً من عدمه، ولكنها عادت دون أن تتخذ قراراً فى صفه، وحين سالت عادل عن السر الكامن خلف هذا الأمر، فإنه قال لى أن احد أعضاء اللجنة طلب منه الانضمام إلى تنظيم يسارى سري! لهذا لم يتم الاعتماد!. أليس هذا أمراً عجيباً أن تتم المساومتان من كلا الطرفين فى نفس الوقت ! ومع ذلك كانت اللجنة الجديدة مكونة منى ومن الأديب محمد إبراهيم مبروك والناقد محمود نسيم وكان العرض يتسم بشيئ من التجرؤ، فكان يتكون من مسرحيتين جديدتين لألفريد فرج المغضوب عليه حينها من السلطة السياسية، وكان مقيماً بالخارج كنوع من النفى الاختيارى، ولما كان العرض للمسرحيتين على مستوى جيد، فقد قررت لجنتنا اعتماده وتزكيته لأعمال جديدة، ولذا فإننى أعتبر عادل شاهين من رواد موجة جيل الوسط فى المسرح السكندري، لأنه علّم الكثيرين من الأجيال الجديدة والتى عشقت فن المسرح من خلاله، علمهم بسخاء فى الفكر والفن، بل بالعطاء المادى أيضا.

أما اعتماد المخرج عبد المقصود غنيم، فقد أحاطته ملابسات أخرى ! فهو شقيق محمد غنيم مدير الثقافة بالإسكندرية حينذاك، وأحد وجوه الثقافة الجماهيرية، ومن أهل الثقة كأحد تلاميذ سعد الدين وهبه، فلما علم بأننى سوف أذهب ضمن لجنة لاعتماد شقيقه مخرجاً فى أول عرض له فى مدينة إيتاى البارود، فكان أن طلب من الأستاذ فؤاد عرفه مدير عام الثقافة فى ذلك الوقت، عدم مشاركتى فى هذه اللجنة ! حيث عرف عنى قدرتى على المصارحة واتخاذ القرار وإعلان الرأى بلا مجاملة أو عمل أى حساب لأى شيء أو أى شخص، مما جعله يتوقع نتيجة سيئة من هذا التحكيم ! وأيضا كنا فى نفس اللجنة المكونة من محمود نسيم وآخر لاأتذكره ومني، وكنا وصلنا إلى دمنهور فى الموعد المحدد وكان الخامسة مساءً، ولكننا لم نجد أحدا ينتظرنا فى قصر الثقافة ! ولكن أحد السعاة قال إنهم انتظرونا وأننا تأخرنا، فسبقونا إلى إيتاى البارود، مما أثار شيئا من الاستياء لدى زميليّ، غير أننى أقنعتهما بأن نستقل سيارة أجرة ونذهب لما يمليه علينا الواجب الثقافى – لا الوظيفى – فوصلنا إلى حيث إقيم عرض ليالى الحصاد تأليف محمود دياب وتمثيل فرقة إيتاى البارود المسرحية. وبعد دقائق وجدنا أنفسنا منهمكين فى المشاهدة والمتابعة دون حرج وإعتبرنا مسألة عدم إستقبالنا أو إستضافتنا مسألة ثانوية، خاصة وأن العرض كان جيداً وجذاباً وينبئ بمخرج جيد أيضاً. بعد ذلك أخبرنى فؤاد عرفه بحكاية إعتراض محمد غنيم على ذهابى عضواً فى لجنة الاعتماد،

وكيف أن النتيجة التى وصلنا إليها كانت محترمة ومشرفة.

ومن المعروف أنه من الصعب تجميع مجموعة التمثيل المسرحى فى المدن الصغرى نظراً لانشغال الشباب بهموم الرزق والتعليم وإمتناع الفتيات بسبب الدعاية الرجعية التى تمنع اندماج المرأة فى المجتمع المدني، وممارسة الفنون خاصةً إلى جانب معاناة مخرجى الأقاليم من تراجع الأنشطة المسرحية والفنية فى المدارس والمعاهد العليا والنوادى وظهور دعاوى أخلاقية- باسم الدين- تزعم بان الفن نوع من الانحلال. أيضاً عزوف قطاع من الجيل الشاب عن التعامل مع الفن والثقافة وتفضيل الجلوس على المقاهى أو تعاطى أنواع من المخدرات مثل البانجو أو الاكتفاء بمشاهدة مباريات كرة القدم، فمخرج الأقاليم أشبه بالداعية أو بمن يروج رسالة الفن والثقافة بين جموع الرافضين لها.

وفى جنوب سيناء فى قيظ شهر يوليو ذهبت مع محمود نسيم وآخرين لاعتماد مخرج مسرحية (حسن ونعيمه) تأليف الشاعر المسرحى الراحل عبد الدايم الشاذلى وإخراج مساعد المخرج سمير زاهر الذى سبق أن شاهدته فى عروض مسرحية بورسعيدية، وبالفعل قمنا باعتماده رغم أنه استخدم كثيراً من الحيل المعروفة عن البورسعيدية، فمثلاً كانت القاعة غير مناسبة – لا للعرض ولا الجمهور- فهى أشبه بالطرقة الطويلة، ولكن سمير بشطارته المعهودة جلب من بلدته من يؤدى معه ويسانده، وأظن أنه درّب مجموعة من أبناء محافظة جنوب سيناء ومدينة الطور وغيرهم من أبناء وادى النيل المقيمين

بالمحافظة حديثة الإنشاء، فقدم عرضاً لا بأس به لم يكن ريفياً بحتاً كنص المؤلف، ولم يكن سيناوياً أيضاً، وإنما كان عرضاً مليئاً بالحيل والابتكارات، حيث كان المخرج حريصاً على تقديم صورة مسرحية محمّلة بموسيقى السمسمية وهى آلة سيناوية أيضاً، فنجم عن ذلك نوع من التوفيق المقبول.

أما بالنسبة لـ عبده طه فقد كنت فى جولة بمحافظة أسيوط لاختيار عروض مهرجان نوادى المسرح، وكانوا قد رتبوا لنا جولة مزدحمة مترامية الأطراف من ديروط إلى أبنوب إلى صدفا، كنت أناقش كل عرض أشاهده جملةً وتفصيلاً، إبتداءاً من النص إلى المنظر المسرحى إلى التمثيل إلى الموسيقى إلى الغناء حتى الشكل العام للحركة، ثم علاقة العرض بالجمهور، وأيضاً أساليب التعامل مع المكان وكيفية معالجته، شاهدت فى هذه الليلة ثلاثة عروض مختلفة بينها مسافات طويلة متباعدة وسفر. استغرق هذا الأمر ساعات طويلة حتى أننا وصلنا أخيراً إلى بيت ثقافة صدفا حوالى الساعة ١٢,٣٠ مساءاً لنجد العرض وجمهوره ورئيس المدينة والمأموروأهالى الممثلين فى إنتظارنا ! كان العرض من إبداع المسرحى الأسيوطى الراحل عبده طه الذى رحل فى سن مبكرة، وقبل أن يكتمل عطاؤه الذى يتميز بسخاء نادر واجتهاد وحرارة وإيقاع دافق لا مثيل له، وكان العرض مستوحى من أحداث تمت فى الأرض المحتلة وفى مدينة القدس ضد المسلمين والمسيحيين سواء، ولكن العرض كان يتميز بروح صعيدية صِرْف وجديدة تماماً وغير تقليدية. وكان بالعرض مشهد يذبح فيه أحد الممثلين زوجين من الحمام

الأبيض، مما أزعجنى بشدة فاحتججت، ثم اتفقت مع المخرج أن لا يفعل هذا الأمر ثانيةً حين يقدم عرضه فى مهرجان الإسماعيلية، ولكنه كشخص صعيدى عنيد، لم يغير شيئا حتى باقى النصائح التى نصحناه بها لصالح العرض لم يأخذ بها! فهو شخص يتحرك من رأسه فحسب، غير أننى فى الصباح الباكر، حرصت على مقابلة مدير الثقافة كى أبلغه بأن عرض عبده طه إذا ذهب إلى الاسماعيلية فأنه سوف يحصل على جائزة، لذا فهو بحاجة إلى استكمال بعض التجهيزات المسرحية التى تتكلف نحو ٣٠٠ جنيه، فأمر بصرفها سائلة على الفور، وللمفارقة أن عبده طه كان قد تأخر عن موعدى معه لمقابلة هذا المسؤل الكبير، فاعتذر بأنه كان مستدعى من مباحث أمن الدولة كى يناقشوه فيما قدمه من أفكار جاءت فى السياق البصرى والإيقاعى للعرض، علماً بأن العرض كان يدين الاعتداء الصهيونى على المسجد الأقصى ويناصر الشعب الفلسطينى وقضيته.

ولكنى للأسف توفى هذا الشهيد بسبب حماسه الشديد لعرض مسرحى جديد، توفى بفرط الانفعال حين فاجأته أزمة قلبية أودت بعمره القصير، فرحل عن دنيانا.

ومن ناحية أخرى كنا رشحنا مخرجاً هو مهندس زراعى يدعى حسام يتميز بدماثة خلق وهدوء ووسامة وبداخله قلب عامر بحب الناس، والفرقة التى كونها والجمهور الذى أدمن مشاهدة بروفاته، فقدم مسرحية ملك عجوز لشوقى عبد الحكيم بصورة

شيقة جذبت مئات الأطفال من أبناء أبنوب، وقد نال بعض الجوائز فى مهرجان الاسماعيلية إلا أننى علمت بكل أسف أنه بعد هذا النجاح والقبول الإنسانى إنضم إلى الجماعات الإسلامية ! ! هل هى البطالة أم هو الخلط الفكرى الشائع فى المجتمع الذى تبثه دوائر دينية متعصبة أو ما يجرى فى الإعلام من أحاديث فى الدين لا ترتقى بالبشر إلى مستواهم الإنسانى اللائق، ولا تلعب دوراً فى توحيد الأمة المصرية، بل وتخل بنسيجها الوطنى أم هو ضحية أزمة شخصية أو اجتماعية مجهولة ؟!

أما فى الاسكندرية أيضاً – بعد جيل عادل شاهين والراحل السيد الدمرداش وناجى أحمد ناجى – فقد ظهر من تلاميذهم صف جديد من المسرحيين السكندريين لمع من بينهم مؤمن عبده أحد شهداء بنى سويف، وقد نالت مجموعات المسرح فى الإسكندرية إهتماماً اجتماعياً واسعاً وفرصاً كبيرة لم تنلها محافظات كثيرة أخرى. فأذكر أنه فى كل مرة كنت أذهب إلى هناك بصحبة محمود نسيم ومحمد إبراهيم مبروك وسامى طه وحازم شحاتة وناهد عز العرب وسيد الإمام وغيرنا، كنا نشاهد فى الليلة الواحدة خمس أو ست عروض مسرحية كاملة، فنديـر الحوارات عن مفردات كل عرض مع كل فرقة على حدة جملة وتفصيلاً، أثناء قيام الفرقة التالية بتجهيز عرضها وهكذا، فكانت ليلة التحكيم تبدأ فى السادسة مساءً وتنتهى المناقشات فى الرابعة فجراً. كان الجميع يستمعون ويتناقشون ويسألون ويتعلمون ويناكفون أيضاً، وكنا نحن أيضاً نطور – عفواً وضمناً – من أدواتنا النقدية والفنية، كما لو كنا

نتدريب مباشرة بالذخيرة الحية (بيان عملى) فنجم عن كل هذا ما يمكن تسميته بالحركة المسرحية السكندرية الجديدة، فخرج لنا منها مخرجون ومؤلفون ومصممو سينوغرافيا ومؤلفو موسيقى مسرحية ولهذا لاقت منى الاسكندرية عناية خاصة للغاية.
فمرة كنت فى نزهة هناك ولم أستطع أن أمنع نفسى من زيارة مسرح الأنفوشى، فصدفت هناك بروفة مسرحية كان يخرجها ويمثل فيها فنان الإضاءة المسرحية المتعدد (يوسف عبد الحميد) وأعجبت بهذه البروفة كمشروع لعرض مسرحى، وحين سألت يوسف عما إذا كان معتمداً كمخرج لدى الثقافة الجماهيرية، ولما أجاب بالنفي، فما كان منى عندما عدت إلى القاهرة إلا أن قدمت تقرير مشاهدة، فتم اعتماده بالفعل دون لجنة اعتماد مخرج.

أما عبد الواحد السعيد فكان عصامياً بطبعه معتمداً على طاقته الجسمانية فى إنجاز كل مشروعاته الخاصة والعامة، ونظرا لطبيعته العفوية وسلوكه الشعبى واجتهاده وخبراته الحياتية المتنوعة والعريضة، لم يكن الآخرون يأخذونه مأخذ الجد فيما يتعلق بقدراته الثقافية والفنية، ولما كنت فى وقت ما رئيساً لقسم المسرح بمديرية ثقافة الجيزة وكان عبد الرحمن الشافعى يستأثر بحق اتخاذ القرار، سالباً منى حقوقى كمسئول، فقد أصررت على أن يقوم عبد الواحد بتنفيذ مشروعه بإخراج مسرحية «عقبال عندكم» تأليف (سيد محمد على) ببيت الثقافة بالبراجيل على المسرح المبنى على الطراز الرومانى فى قلب القرية، فشجعته على هذا الأمر وساعدته مديره بيت الثقافة فى ذلك الوقت السيدة هدى عبده سمعان وهى من

أهالى المنطقة وشخصية مستنيرة ومجتهدة، وهنا أخذت النص من عبد الواحد ومررته من لجنة النصوص التى كان يرأسها الناقد الكبير الراحل أمير سلامة ثم وافقت عليه الرقابة.

وبدأ عبد الواحد البروفات التى كانت أشبه بحفل ليلى يومي يحضره هواة التمثيل فى هذه المنطقة بل وبعض الأهالى أيضاً، وذات يوم سألنى عبد الرحمن الشافعى كرئيس لى فى العمل هل أنت الآن تنتج مسرحية دون علمي؟ فقلت له أن المسرحية تمت الموافقة على نصها فنيا ورقابيا فقال لى إنه لا توجد ميزانية لهذا العرض فى خطة المديرية لهذا العام، خاصة وأنه تُجرى بروفاته دون علمى أو إذن مني، وفى أحد المواقع الخاضعة لرئاستى كمدير للثقافة بالجيزة! وكان يتيح لبعض للسيدات العاملات بثقافة الجيزة ممارسة نوع من التعالى الاجتماعى على الزملاء الفقراء وضعاف المراكز الوظيفية أو الاجتماعية، وكان عبد الواحد أحدهم، الأمر الذى استفز عنادى فجعلنى أذهب يوميا لحضور البروفات.

وكان أمام عبد الواحد مشكلة تتعلق بشكل الفراغ المسرحى بديكور جميل بدون أعباء مالية، حينها كنت قد تعرفت على مهندس ديكور محمد التلاوى درس فى إيطاليا وهو من إحدى قرى المنوفية، فصحبنى إلى البراجيل وقدم حلولا رائعة لإقامة ديكور وملأ الفراغ الشاسع المحيط بالمسرح بثلاث قطع هى ساقية خشبية قديمة، وجذع شجرة سميك ذو فرعين وقوس بوابة ريفية بشراعة شمسية من أخشاب قديمة، وتولى بنفسه

تصنيع كل شيء، كل ما طلبه منا كان شيئاً بسيطاً جداً وغير مكلف تقريبا، وهو صفيحة لون أبيض من البلاستيك، ثم قام بدهان هذه القطع الثلاثة فبدت فى ظلام الليل كقطع نحتية رائعة جاءتنا من عالم آخر جميل! وحينما استوثقت من نجاح العرض ضغطت فى إتجاه إعتماد ميزانية بسيطة لاستكمال الشكل، وجاء أمير سلامة واحمد الحوتى وأنا، فى صورة لجنة لإعتماده، ونظراً لذكاء الشافعى لم يشأ أن يكون هو العقبة فى سبيل اعتماد هذا العصامى العنيد الذى نجح بالفعل، فهو يملك كثيراً من الحيل ويتقن عديداً من الحرف ويزخر رأسه بكثير من المعارف والخبرات التى أدهشت كل من يعرفونه، وكان عبد الواحد لا يفتأ أن يردد: «ياعم الفن مش بالشهادات» وحين تيقن الشافعى من نجاح العرض لم يعط أذنه للكلمات الجاهلة بالطبيعة الإنسانية التى كان بعض نساء المديرية وصبيتهم يرددونها عن عبد الواحد فلم يصدقوا أنه أصبح رسمياً فناناً ومخرجاً!!

حين ظهر العرض بعد اكتمال رونقه أصبح عيدا شعبيا ليلياً تحضره القرية والقرى المجاورة بعد صلاة العشاء مباشرة، ولهذا فإننى أدْرِج هذا العرض فى تاريخ المسرح الشعبى المصري. توفى عبد الواحد لأنه أضناه التعب من كثرة الترحال بين المدن والقرى والواحات.